حمزة مصطفى المصطفى*

جبهة النصرة لأهل الشام

من التأسيس إلى الانقسام**

تقف هذه الورقة على ظاهرة توضّحت صورتها العامة، إلا أنّ تفاصيلها لا تزال تتوالى كاشفة اللثام عن مشهد لم يكن واضحًا في أذهان الكثيرين عندما بدأت الثورة السورية. وبناء عليه، تحاول الورقة إلقاء الضوء على الحركات الجهادية ذات التوجه الأممي، وتركز على "جبهة النصرة لأهل الشام"؛ إذ ترصد نشأتها، وتبلورها، والظروف التي ساعدت في انتشارها في سورية وازدياد تأثيرها، ثمّ تراجع نفوذها وانقساماتها التي مهدت لظهور تنظيم جديد هو "الدولة الإسلامية في العراق والشام". وتوضح في خاتمتها التداعيات المباشرة وغير المباشرة التي نتجت من وجود هذه الحركات ونشاطها.

* باحث في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

** اجتزئت هذه الورقة من كتاب يعكف الباحث على كتابته، ويصدر عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات لاحقًا.

تمهيد: عن "الجهاد" والجهاديين في سورية قبل الثورة

ترجع جذور الحركة السلفية في سورية إلى نهاية القرن التاسع عشر في ما اصطلح على تسميته بـ "السلفية الإصلاحية"، والتي كانت شبيهة إلى حد كبير بالسلفية الإصلاحية التي نشأت في مصر على يد الشيخ محمد عبدو؛ بمعنى أنها كانت حركة تنويريّة وتثقيفية نشأت لمواجهة حالة الاستبداد والتخلف الموروثة من العهد العثماني ولعل من أبرز رموزها آنذاك الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، والشيخ جمال الدين القاسمي، والشيخ محمد رشيد رضا. وقد تفرَّعت عن هذا التيار عدة جمعيات، كانت قد أدت دورًا مهمًا في الحياة السياسية، ومن أبرزها: "الجمعية الغراء" التي تأسست عام ١٩٢٤، وجمعية التمدن الإسلاميّة التي أسسها عام ١٩٣٠ مظهر العظمة وبهجت البيطار (أحد تلامذة الشيخ جمال الدين القاسمي)[١]. وبخلاف التيار السابق، نشأت الحركة السلفية التقليدية (المحافظة) متأثرة بالمرجعيات التاريخية للتيار السلفي التقليدي، مثل ابن تيمية وابن قيِّم الجوزية، ولاحقًا بالشيخ محمد بن عبد الوهاب. وتدين السلفية التقليدية بالفضل في إحيائها وتفعيل نشاطها في سورية إلى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٩١٤-١٩٩٩)[٢]، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وتلميذه الشيخ محمد عيد العباسي الذين نشطوا ضمن المعاهد الشرعية وركزوا على نشر الدعوة وأفكار التيار السلفي من دون الانغماس في العمل السياسي. أما بذور السلفية الجهادية في سوريّة، فإنها خرجت من رحم جماعة الإخوان المسلمين التي نشأت في سورية في منتصف الثلاثينيات وأعلن عنها رسميًا عام ١٩٤٥، وانتخب مصطفى السباعي مراقبًا عامًا لها؛ فبعد عصيان حماة عام ١٩٦٤ أسست مجموعة من أعضاء الجماعة بقيادة مروان حديد خطًا جديدًا يختلف عن توجهات مؤسسيها الذين كانوا يفضلون طريق العمل السلمي للوصول إلى السلطة، ومن أبرزهم مصطفى السباعي والشيخ عصام العطار. لقد تأثر مروان حديد بأفكار سيد قطب أثناء وجوده للدراسة في مصر، وكان يطمح في نقلها إلى سورية[٣].

> وتدين السلفية التقليدية بالفضل في إحيائها وتفعيل نشاطها في سورية إلى الشيخ محمد ناصر الدين الألباني (١٩١٤-١٩٩٩)، والشيخ عبد القادر الأرناؤوط، وتلميذه الشيخ محمد عيد العباسي

كان مروان حديد مقتنعًا بأنّ "الجهاد" هو الطريق الوحيد للتخلص من "بلاء كحزب البعث". وفي سبيل ذلك، حاول إقناع التنظيم العام للإخوان المسلمين بالإعداد للمواجهة مع السلطة، وتشكيل ذراع عسكريّ للجماعة. ولمّا لم ينجح في ذلك، توجه مع تلاميذه للإعداد للقتال، وذلك من خلال العمل المسلح مع حركة فتح الفلسطينية في قواعد الشيوخ في غور الأردن (١٩٦٨-١٩٧٠)، وهناك تمكّن من إعداد النخبة الأولى لتنظيمه الجهادي[٤]، الذي سماه "تنظيم الطليعة المقاتلة".

كان تنظيم الطليعة المقاتلة أول تجربة جهادية في سورية تتخذ من العنف (الكفاح المسلح) سبيلًا وحيدًا للتغيير. وقد شهد عقدا السبعينيات والثمانينيات مواجهات مسلحة بين هذا التنظيم (انضم إليه التنظيم العام للإخوان المسلمين عام ١٩٨٠)، وبين السلطة؛ انتهت بخروج معظم قيادات التيار الإسلامي بعد موقعة (مجزرة) حماة عام ١٩٨٢.

يمكن القول بأنّ تجربة الطليعة المقاتلة وفّرت تربة خصبة لولادة الحركة الجهادية في سورية؛ فالسلفية الجهادية المعاصرة تعتبر الشيخ مروان حديد "الشخصية الثانية" بعد سيد قطب التي ساهمت في نشأة التيار الجهادي. كما أنّ الجهاديين السوريين الذين "هاجروا" إلى ساحات الجهاد المختلفة نشأ معظمهم في كنف الطليعة المقاتلة. ولعل أحد أبرز وجوه تجربة مروان حديد هو أبو مصعب السوريّ؛

---

١ عبد الرحمن الحاج، "السلفية والسلفيون في سورية: من الإصلاح إلى الجهاد"، مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٥/٢٦، انظر:
http://studies.aljazeera.net/reports/2013/05/2013520105748485639.htm

٢ ولد محمد ناصر الدين الألباني عام ١٩١٤ في ألبانيا، وهاجر مع عائلته إلى دمشق عام ١٩٢٢. نشأ في أسرة فقيرة محافظة دينيًا تلتزم بالمذهب الحنفي، وبدأت رؤيته السلفية تتبلور من خلال اطّلاعه على مجلة **المنار** التي كان يصدرها رشيد رضا. انظر: محمد أبو رمان، "السلفية في المشرق العربي"، في: عبد الغني عماد (إشراف)، **الحركات الإسلامية في الوطن العربي**، ج ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣)، ص ١١٦٠.

٣ محمد جمال باروت، "سورية: أصول وتعرجات الصراع بين المدرستين التقليدية والراديكالية" في: محمد جمال باروت وفيصل دراج (محرران)، **الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية**، ج ١ (دمشق: المركز العربي للدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٦)، ص ٢٦٩.

٤ سعود المولى، **الجماعات الإسلامية والعنف: موسوعة الجهاد والجهاديين** (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ٢٠١٢)، ص ٥٧٨.

والذي سيصبح منظِّر الحركات الجهادية في أفغانستان والجزائر والعراق وسورية[٥].

> كان مروان حديد مقتنعًا بأنّ "الجهاد" هو الطريق الوحيد للتخلص من "بلاء كحزب البعث". وفي سبيل ذلك، حاول إقناع التنظيم العام للإخوان المسلمين بالإعداد للمواجهة مع السلطة، وتشكيل ذراع عسكريّ للجماعة

بعد أحداث حماة ١٩٨٢ وخروجه منتصرًا في المواجهة، نجح النظام السوري خلال عقد الثمانينيات والتسعينيات في تقليص حضور الإسلام الحركي، والتفكير الجهادي إلى أدنى حدوده. ويمكن ردّ ذلك إلى عاملين رئيسين: الأول، الإجراءات القمعية والقسرية ضد منتسبي الإسلام الحركي، ولا سيما أنصار جماعة الإخوان المسلمين. والثاني، تحفيز النظام شخصيات ومدارس إسلاميّة لإرساء تيار إسلامي "لاعنفي"، يبتعد عن العمل السياسي، ويركز على القضايا الدعوية والتربوية والعمل الاجتماعي. ومن أبرز هؤلاء الشيخ جودت سعيد ومدرسته "سلفيّة اللاعنف"، والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي الذي كان مدافعًا عنيدًا عن الفقه الصوفي التقليدي في وجه الآراء السلفية، وجماعة القبيسيات والتي ستنشط بشكل كبير بعد تولي بشار الأسد منصب الرئاسة.

لكنّ أحداثًا مفصلية حصلت في عقد التسعينيات ساهمت من جديد في إحياء التفكير الجهادي لدى بعض الشباب السوري (مثل تجربة "الأفغان العرب" وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" وحركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، وحزب الله في لبنان، وحرب الشيشان). وعلى وقع هذه الأحداث، تشكلت مجموعات سلفية صغيرة مهتمة بالجهاد ومتأثرة بهذه التجارب من دون أن يكون هناك أي رابط تنظيمي في ما بينها[٦].

مع ذلك، لم تعرف سورية نشاطًا جهاديًا خلال عقد التسعينيات من القرن الماضي؛ فالمجموعات الجهادية الصغيرة التي تشكلت متأثرة بالفكر الجهادي العالمي لم تجد الحاضنة الشعبية والقبول المجتمعي، فوجد معظم منتسبيها طريقهم إلى خارج سورية، والتحقوا بجبهات "الجهاد" المفتوحة في بقاع متعددة من العالم (مثل البوسنة والشيشان)، وبخاصة بعد تأسيس "الجبهة الإسلامية العالمية لقتال اليهود والصليبيين" في شباط/ فبراير ١٩٩٨[٧].

سعى النظام السوري منذ وصوله إلى الحكم للتضييق على الحركات الإسلامية واستئصال المجموعات الجهادية الناشئة، لكنّ هذا الواقع تغيَّر بشكل كامل مع ظهور بوادر الغزو الأميركي للعراق ٢٠٠٣. فأثناء التحضيرات الأميركية لغزو العراق كانت الأجواء في سورية تشحن على الصعد كافة باتجاه إعداد الجهاديين للقتال في العراق واستقبالهم وتحت عناوين مختلفة من بينها استباحة الغرب "الكافر" للأراضي المسلمة؛ وهو خطاب غير مألوف لأحد الأنظمة العلمانية التي تعتبر متطرفة في رؤيتها وتعاملها مع الموضوع الديني. فقد دعا مفتي سورية الراحل الشيخ أحمد كفتارو في ٢٦ آذار/ مارس ٢٠٠٣، على سبيل المثال، المسلمين عامة إلى الجهاد وإلى "استخدام كل الوسائل الممكنة في هزيمة العدوان، بما في ذلك العمليات الاستشهادية، ضد الغزاة المحاربين الأميركيين والبريطانيين الصهاينة"[٨]. وأعاد الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي هذه الدعوة في خطبة الجمعة بتاريخ ١٣ حزيران/ يونيو ٢٠٠٣، وحثّ المسلمين الشباب على التوجه إلى "جهاد الفريضة" التي لم "تتجلَّ أسباب فريضتها في عصر من العصور كما تجلّت في هذا العصر على أرض العراق الإسلامية"[٩].

استطاعت المجموعات الجهادية الصغيرة في الفترة ٢٠٠٣-٢٠٠٥ إنشاء قواعد إسناد وإمداد في عدة مناطق من سورية، مختارة تلك التي تتوافر فيها حاضنة اجتماعيّة للفكر الجهاديّ. وقد تولت هذه المجموعات، والتي نشطت بشكل شبه علني تحت مسمى "لجان نصرة العراق" مهمة تجنيد المقاتلين السوريين، وتسهيل مرور "المجاميع القتالية" القادمة من خارج سوريّة إلى العراق، إضافة إلى جمع التبرعات من خلال جمعيات خيرية، وأحيانًا في مساجد الأرياف[١٠].

---

٥ عبد الباري عطوان، **القاعدة والتنظيم السري** (بيروت: دار الساقي، ط ٢، ٢٠٠٩)، ص ٣٢٦-٣٢٩.

٦ عبد الرحمن الحاج، **الدولة والجماعة: التطلعات السياسية للجماعة الدينية في سورية ٢٠٠٠-٢٠١٠** (لندن: مركز التواصل والأبحاث الاستراتيجية)، ص ٤٥.

٧ رزان زيتونة، "الإسلاميون السوريون وغواية الجهاد في العراق"، في: مجموعة مؤلفين، **الإخوان المسلمون في سوريا ممانعة الطائفة وعنف الحركة** (دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط ٢، ٢٠١١)، ص ٣٨٨.

٨ المرجع نفسه، ص ٣٤٠.

٩ الحاج. "السلفية والسلفيون".

١٠ محمد جمال باروت، **العقد الأخير في تاريخ سورية: جدلية الجمود والإصلاح** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٢)، ص ٢٠٢-٢٠٣.

يمكن القول إنّ ظروف حرب العراق عام ٢٠٠٣، جعلت من سورية ممرًا آمنًا للجهاديين إلى العراق. وتشير الكثير من الدلائل إلى أنّ النظام السوري اعتبر تدفق الجهاديين مصلحة حقيقية تتمثل في محاربة القوات الأميركية في محاربة الجهاديين وتنظيم القاعدة في العراق. يضاف إلى ذلك أنّ الولايات المتحدة الراغبة آنذاك في تحقيق الاستقرار الأمني في العراق كانت مضطرة إلى فتح قنوات اتصال وتعاون مع النظام السوريّ لتحقيق ذلك.

استثمر النظام السوريّ ورقة القاعدة والجهاديين بشكل جيد في العراق في الفترة ٢٠٠٥-٢٠٠٨ للخروج من عزلته الدولية المفروضة عليه؛ فالتضييق على حركة الجهاديين وضبط الحدود والتعاون الاستخباراتي كان الثمن المقابل لتخفيف الضغوط الأميركية عليه[١١]. وقد أدى ذلك إلى افتراق المصالح بين تنظيم القاعدة والنظام السوريّ، فانتقل الأخير بنظر الجهاديين وتنظيم القاعدة من عدو مسكوت عنه، إلى عدو تتعين مواجهته. ضمن هذا السياق، شهدت العاصمة السوريّة دمشق في ٢٧ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٨ تفجيرًا انتحاريًّا استهدف مجمعًا للفروع الأمنية في منطقة القزاز[١٢]. وقد اتهمت السلطات السورية مجموعة جهادية تابعة لتنظيم القاعدة بالوقوف وراء هذه التفجيرات[١٣].

لقد تركت التجربة العراقيّة تداعياتها المباشرة على التيار الجهادي في سورية؛ إذ ساهمت في خلق جيل جديد من الجهاديين السوريين. كما برزت خلالها أسماء عناصر قياديّة سورية من أبرزها خالد سليمان درويش الملقب بـ "أبو الغادية السوري"[١٤]. أما على صعيد المقاتلين (المجندين) في العراق، فقد جاء السوريون في المرتبة الثانية من حيث العدد، وبنسبة بلغت ١٣٪ من إجمالي عدد الجهاديين هناك، وذلك بحسب إحصاءات نشرت في المنتديات الجهادية عام ٢٠٠٧. وقد عاد معظم هؤلاء إلى سوريّة بعد تراجع نشاط التيار الجهادي في العراق، وقد أسهموا بصورة ملحوظة في الثورة السورية[١٥].

أولًا: التقاء المسارات: سياق نشأة جبهة النصرة

طرح نجاح الثورات العربيّة في تونس ومصر واليمن عام ٢٠١١ ونهجها المرتكز على الحراك الشعبي "السلمي" إشكاليات بالنسبة إلى الحركات الجهاديّة، ولا سيما حول الأسلوب والطريقة الواجب اتباعها لتحقيق التغيير؛ فمفهوم "الجهاد" العنفي الذي وضعته هذه الحركات في قلب أولوياتها كأيديولوجيا ثورية انقلابية تهدف إلى إطاحة الأنظمة الاستبدادية "الجاهلية" فقد حججه ومبرراته بعد نجاح الحراك الشعبي "السلمي" في تحقيق التغيير[١٦].

> لم تكن الحركات الجهاديّة مهتمة بالثورة السورية عند انطلاقتها أو في مرحلة الاحتجاجات السلميّة كونها تعتمد "تقليد" الثورات العربية الأخرى في أدواتها ونهجها، والأهم في أهدافها الديمقراطية، وهو ما لا يتوافق مع أفكار الحركات الجهاديّة ونهجها

لقد أدت ثورات الربيع العربي إلى احتدام الجدل والنقاشات الفكريّة ضمن أوساط التيار الجهادي السلفيّ وتنظيم القاعدة بشأن مركزية التنظيم أو لامركزيته[١٧] وكذلك بشأن التركيز على النشاط "الشعبي" بدلًا من النخبويّ، وبخاصة بعد بروز ظاهرة "الأنصار" مثل جماعة أنصار الشريعة في تونس، وجماعة أنصار الدين في مالي. لكنّ التغيّرات

١١ للتوسع في هذا الموضوع، انظر "التّفجيرات في سورية، هل فتحت مرحلة جديدة؟"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ورقة تحليل سياسات، ٢٠١٢/٦/٧، انظر:
http://www.dohainstitute.org/release/87a0af3d-1508-4c88-8176-73c18e0ac6f9

١٢ سعاد جروس، "تفجير دمشق: السيارة المفخخة استهدفت مجمعًا للاستخبارات"، جريدة **الشرق الأوسط**، ٢٠١٢/٨/٢٨، انظر:
http://www.aawsat.com/details.asp?issueno=10626&article=488579#.Uac5TEA3DBs

١٣ "اعترافات منفذي العمل الإرهابي في القزاز: الانتماء لتنظيم فتح الإسلام .. تيار المستقبل أحد الممولين"، **سانا**، ٢٠٠٨/١١/٧، انظر:
http://sana.sy/ara/2/2008/11/06/200295.htm

١٤ محمد أبو رمان، "مقتل سليمان خالد درويش "أبو الغادية" أحد أبرز قادة تنظيم القاعدة في العراق"، جريدة **الغد** الأردنية، ٢٠٠٥/٦/٢٥، انظر:
http://www.alghad.com/index.php/article/27244.html

١٥ مراد بطل الشيشاني، "أبو مصعب السوري والجيل الثالث من السلفيين الجهاديين" في: مجموعة مؤلفين، **الإخوان المسلمون**، ص ٥٣.

١٦ حسن أبو هنية، "القاعدة وثورات الربيع العربي"، ورقة بحثية قدمت في مؤتمر "تحولات جيوستراتيجية في سياق الثورات العربية"، الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ١٥-٢٠١٢/١٢/١٧.

١٧ يعتبر الشيخ أبو مصعب السوري من أبرز الداعين إلى لامركزية تنظيم القاعدة، انظر: أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، **دعوة المقاومة الإسلامية العالمية** (د.م: د.ن. ٢٠٠٤)، ص ٨٩٦.

التي طرأت على مسار الثورات العربيّة والاتجاه إلى العسكرة كما جرى في ليبيا وسورية، أعادت الحركات الجهاديّة وتنظيم القاعدة إلى واجهة الأحداث، وأعادت الزخم لمفهوم "الجهاد العنفي" والطروحات الأممية الأخرى.

لم تكن الحركات الجهاديّة مهتمة بالثورة السورية عند انطلاقتها أو في مرحلة الاحتجاجات السلميّة كونها تعتمد "تقليد" الثورات العربية الأخرى في أدواتها ونهجها، والأهم في أهدافها الديمقراطية، وهو ما لا يتوافق مع أفكار الحركات الجهاديّة ونهجها.

يصف عبد الله بن محمد في كتيبه **إستراتيجية الحرب الإقليمية على أرض الشام**[١٨] ما يسميه التقاء المسارات الذي حصل بين الحركات الجهادية والثورة السوريّة، بالقول "فالشعوب العربية عبر رحلتها المفيدة والمريرة طوال العام الماضي وتطور أفكارها وانتقالها بالتقليد والمواءمة وصلت في إحدى أهم ثوراتها وأكثرها حساسية وجذبًا للأنظار والاهتمام الإقليمي والدولي إلى نقطة الالتقاء مع المسار الذي اختاره التيار الجهادي وتنظيم القاعدة على وجه الخصوص قبل ذلك بعقد ونيف بضرورة إسقاط هذه الأنظمة الفاسدة بالعمل العسكري القائم بذاته وإن اصطدم ذلك بمصالح الدول العظمى"[١٩].

لقد كان انتقال الثورة إلى العسكرة نقطة تحول مهمة بالنسبة إلى الحركات الجهاديّة، فقد كانت العسكرة بمنزلة الجسر الذي نقلها من فاعل "غير مرغوب" في مشاركته إلى فاعل "مُرَّحب به" في مواجهة عنف النظام الذي تصاعدت حدته وانتشرت رقعته. تأسيسًا على ذلك، بدأت الحركات الجهادية مرحلة "التعشيش" أو "البناء"؛ وذلك من خلال استطلاع البيئات الحاضنة للفكر الجهاديّ ومعرفتها من أجل التغلغل فيها، ومن ثمّ إرسال خلايا صغيرة إلى هذه البيئات أو تفعيل أخرى "نائمة"[٢٠].

ثمة عامل آخر ذو أهمية كبيرة ساهم في إدخال الحركات الجهادية وإدماجها في معادلة الثورة، ويتمثل في إستراتيجية النظام؛ فقد خرج كثير من الجهاديين المعتقلين في السجون السوريّة بمراسيم العفو المتكررة التي دأب النظام على إصدارها منذ بداية الثورة[٢١].

مع بداية عام ٢٠١٢ شهدت الثورة السورية تغيرًا جوهريًّا في مسارها باتجاه الكفاح المسلح كنهج رئيس في الصراع مع النظام وهو ما سيوفر معطيات تسمح بحضور الجماعات الجهادية وتشرعن وجودها وعملها ضمن صفوف الثوار، ومن أبرز هذه المعطيات[٢٢]:

- اقتناع كثير من المحتجين بعدم جدوى النضال السلمي: تقاطع هذ الاقتناع مع طروحات الجماعات السلفية والجهادية بشأن عدم جدوى النضال السلمي، ما جعل حضورها يصبح شرعيًّا ومقبولًا اجتماعيًّا، وبخاصة مع تزايد عدوانية النظام ووحشيّته[٢٣]. وقد بررت وجودها بقاعدة فقهية وهي "دفع صائل العدو وأعوانه".
- غياب التدخل العسكري: أدى الشعور بالإحباط من المجتمع الدولي بموازاة ارتفاع حصيلة القتلى المدنيين إلى التحالف مع الجماعات الجهادية بوصفها فاعلًا رئيسًا في محاربة النظام[٢٤].
- المجازر الطائفية: أسهمت المجازر الطائفية التي ارتكبها النظام في تنامي الخطاب المذهبي بين مؤيدي الثورة، ومن ثمّ، لم يعد التحفظ عن خطاب هذه الجماعات قائمًا كما كان في السابق.
- دعوات الجهاد: شهدت سوريّة بداية عام ٢٠١٢ دعوات عدة "لإعلان الجهاد"، وبرزت في المظاهرات وفي وسائل التواصل الاجتماعي. واستغلت الحركات الجهادية هذه الدعوات لتشرعن وجودها. وقد تطرق المسؤول العام لجبهة النصرة أبو محمد الجولاني إلى ذلك في بيان الجبهة التأسيسي بالقول: "فتعالت

---

١٨ ندّعي أنّ هذا الكتيب واسع الانتشار في المنتديات الجهاديّة، والذي شوهد مع قيادات، وعناصر في جبهة النصرة في حلب وإدلب بحسب شهادات جمعها الباحث من مقاتلين سوريين.

١٩ عبد الله بن محمد، **إستراتيجية الحرب الإقليمية على أرض الشام** (د.م.: د.ن.، ٢٠١٢). يمكن تحميله من:
http://jalnosra.com/vb/showthread.php?t=480

٢٠ انظر البيان التأسيسي لجبهة النصرة، تاريخ التحميل ٢٠١٢/٥/٢٥:
http://www.youtube.com/watch?v=Q3ERodHVHgo

٢١ يقول الباحث علاء القاضي الذي أجرى مقابلات عدة مع أفراد جبهة النصرة وقادتها في حلب "لقد بدأ ظهور الجهاديين في حلب بشكل علني منذ حزيران/ يونيو ٢٠١١، وقد أنشأوا مقرًا لتنظيمهم بالقرب من مشفى الأطفال في المنطقة الواقعة بين حي الحاووظ وحي النيرب والشعار ... إنّ أفراد هذا التنظيم كانوا بغالبيتهم من السوريين الذين أفرج عنهم النظام في العفو الذي صدر بتاريخ ٢١ حزيران/ يونيو ٢٠١١، وكان عددهم بالمئات، قبل تدفق السعوديين والأفغان واليمنيين في عام ٢٠١٢". مقابلة أجراها الباحث مع المحامي علاء القاضي.

٢٢ للتوسع في هذا الموضوع انظر: عزمي بشارة، **سورية: درب الآلام نحو الحرية: محاولة في التاريخ الراهن** (الدوحة/ بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣)، ص ٢٥٣-٢٥٦.

٢٣ "هل هو الجهاد؟ المعارضة الأصولية في سورية"، مجموعة الأزمات الدولية، **تقرير الشرق الأوسط**، رقم ١٢، ص ١٣١.

٢٤ المرجع نفسه.

أسس العمل	مقومات التنظيمات التقليدية	نظام عمل سرايا المقاومة
الهدف	إسقاط الحكومة وإقامة الحكومة الشرعية.	دفع صائل الغزاة وأعوانهم.
المنهج	فكر التنظيم الجهادي ومنهجه.	منهج دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.
القيادة	الأمير المركزي والقيادة.	الإرشاد العام للسرايا العالمية. الأمير الخاص للسرية.
المخطط	برنامج عمل التنظيم.	مقاومة الاحتلال.
التمويل	مصادر تمويل التنظيم وبرنامج إنفاقه.	التمويل الخاص بالسرية ومصدره الغنائم والتبرعات.
البيعة والعهد	بيعة مركزية للأمير.	عهد مع الله على الجهاد والمقاومة، وعهد على طاعة أمير السرية.

أصوات النداء لأهل الجهاد، فما كان منا إلا أن نلبي النداء ونعود لأهلنا وأرضنا من الشهور الأولى لاندلاع الثورة"[٢٥].

مهّدت جميع المعطيات السابقة الطريق للإعلان عن تأسيس "جبهة النصرة"، والتي أصدرت بيانها التأسيسي في ٢٤ كانون الثاني/ يناير ٢٠١٢.

ثانيًا: هل النصرة تنظيم جهادي تقليدي؟

ا. المرجعيات الفكرية

تتعدد المرجعيات الفكرية والأدبيات الجهادية لجبهة النصرة، إلا أنّ كتابات "أبو مصعب السوريّ" وأفكاره تعتبر "مركزية" بالنسبة إليها، ونذكر أهم هذه الكتب:

- كتاب **دعوة المقاومة الإسلاميّة العالمية**، وينظِّر فيه لما يسميه "الجيل الثالث من الجهاديين".
- كتاب **ملاحظات التجربة الجهادية في سوريا**، ويقيِّم فيه التجارب الجهادية السابقة في سورية لا سيما تجربة الطليعة المقاتلة والإخوان المسلمين[٢٦].
- كتاب **أهل السنة في الشام في مواجهة النصيرية والصليبية واليهود**، يقدِّم أبو مصعب السوري رؤيته لما يعتبره "كفر" النظام السوري، ويحدِّد فيه ما يعتبره "أعداء" المشروع الجهادي في سورية وهم: اليهود الصهاينة، والعلويون، والشيعة، والدروز[٢٧]. وتجدر الإشارة إلى أنّ اسم جبهة النصرة مأخوذ من أحد النداءات التي يوجهها في نهاية هذا الكتاب "من الشام المباركة في مطلع الستينات كانت بداية انطلاق الجهاد، وفيها ازدهرت في الثمانينات، وإليها تعود اليوم إن شاء الله، **فالنصرة النصرة يا إخوة الجهاد**"[٢٨].

يعتبر أبو مصعب السوري أنّ أسس بناء التنظيمات الجهادية التقليدية ومقوماتها لم تعد صالحة في ظل المتغيرات الدولية، وأنّ الفكر الجهادي لا بد له من اجتراح أساليب تنظيمية. لذلك يطرح فكرة "سرايا المقاومة الإسلامية العالمية" والتي تقوم على أساس الجهاد الفردي أو المجموعات الصغيرة، وليس على أساس التنظيم المركزي[٢٩]. ويقارن السوريّ بين مقومات التنظيمات التقليدية ومقومات نظام عمل "السرايا" وفق الجدول أعلاه[٣٠].

يفيدنا استعراض هذه الأفكار في فهم كيفية تبلور جبهة النصرة وآلية عملها؛ فالمجموعات الجهاديّة الصغيرة والتي نشطت في الثورة أواخر عام ٢٠١١ (التي انتظمت في جبهة النصرة) لم تكن ترتبط بتنظيمات

٢٥ البيان التأسيسي لجبهة النصرة.

٢٦ الشيشاني، ص ١٤٣-١٥٤. وللاطلاع على إنتاج "أبو مصعب السوري"، انظر ملف "أبو مصعب السوري"، منبر التوحيد والجهاد:
http://www.tawhed.ws/a?a=hqkfgsb2

٢٧ الشيشاني، ص ١٣٩.

٢٨ عبدالله بن محمد. وتجدر الإشارة إلى أنّ المنتديات الجهادية تتعامل مع كتابات عبد الله بن محمد على أنها كتابات (أبو محمد الجولاني نفسه).

٢٩ أبو مصعب السوري (عمر عبد الحكيم)، **دعوة المقاومة الإسلامية**، ص ١٤٥٣-١٤٥٤.

٣٠ المرجع نفسه.

جهاديّة معروفة ولم تعلن تبعيتها وولاءها إليها بل كانت عبارة "سرايا جهادية" تجتمع حول "فكرة" الجهاد والدعوة، وهدفها مقاومة قوات النظام "صائل الغزاة". وبناء عليه، يمكن القول إنّ النصرة لم تكن تنظيمًا جهاديًا تقليديًا بقدر ما كانت وعاء يجمع هذه السرايا المتشابهة فكريًا وأيديولوجيًا ويطوِّر بنيتها التنظيمية، ويرفدها بعناصر ومنتسبين جدد، لتشكيل "جبهة عريضة" تكون عنوان الجهاد ومقصد المجاهدين في سوريّة.

> لم يعلن الجولانيّ عن قيام إمارة إسلامية أو دولة على غرار ما فعلت التنظيمات الجهاديّة في العراق، وفي شمال ماليّ، كما تجنّب الجولانيّ بدايةً إعلان الولاء والتبعية لتنظيم القاعدة أو أي تنظيم جهاديّ آخر "إقليمي"

يمكن تلمّس ذلك بوضوح في بيان الجبهة التأسيسيّ؛ فالجولانيّ لم يعلن عن قيام إمارة إسلامية أو دولة على غرار ما فعلت التنظيمات الجهاديّة في العراق، وفي شمال ماليّ، وإنما أعلن "تشكيل جبهة النصرة لأهل الشام من مجاهدي الشام في ساحات الجهاد". كما تجنّب الجولانيّ إعلان الولاء والتبعية لتنظيم القاعدة أو أي تنظيم جهاديّ آخر "إقليمي" مثل تنظيم الدولة الإسلامية في العراق الذي أسهم في نشأة النصرة وإمدادها بالرجال والمال. وقد استمرت النصرة في اتّباع هذا المسار حتى تاريخ ١٠ نيسان/ أبريل ٢٠١٣ عندما أعلن أبو بكر البغدادي عن حل الجبهة، وإدماجها في تنظيم واحد سماه "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش)، ورفضه الجولاني. ونرجّح أنّ إعلان الجولاني البيعة لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري كان بمنزلة "المخرج الوحيد" للنصرة في مواجهة دعوة البغدادي، ومهربًا للجولاني من استنساخ الدولة الإسلامية في العراق في الحالة السوريّة[٣١]. يؤكد الشيخ محمد عبد الله نجيب سرور[٣٢] هذا الأمر، ويذكر نقلًا عن قيادات في النصرة "أنّ لدى الجولانيّ استيعاب لخصوصية بلاد الشام وتمايزها عن الساحات الجهادية الأخرى، وأنّ لدى النصرة مرونة في تطبيق المصالح والأحكام الشرعية، كما أنها لا تسعى لأخذ البيعة أو فرض سيطرتها على باقي الكتائب، وأنّ الجولاني سعى لإنشاء "مجلس شورى المجاهدين" لمنع حصر قيادة الجبهة بشخص واحد هو "الأمير" على التنظيمات الجهادية التقليدية"[٣٣].

٢. البنية التنظيمية للجبهة

أما في ما يتعلق بالهيكلية التنظيمية العسكرية لجبهة النصرة، فهي كالآتي:

المجموعات: تتألف من ١٥-٢٥ شخصًا، يقودها ويسيّر العمل العسكري فيها أمير عسكري، ويميز رقم محدد كل مجموعة. تؤخذ البيعة من قبل أفراد المجموعة لأميرها. وتعني البيعة الطاعة العمياء وتنفيذ الأوامر من دون نقاش[٣٤].

السرايا: لها مسميات مختلفة، ويتراوح عددها بين ١٠٠-٢٠٠ شخص، يقودها شخص يطلق عليه اسم "الأمير الميداني"، ويشرف على عمل المجموعات التابعة بحسب التقسيم المناطقيّ، ويحاسب أمراء المجموعات على أعمالهم بحيث لا يكون هناك مجال للارتجال أو التعسف[٣٥]. تؤخذ البيعة للأمير الميداني من أمراء المجموعات، ويتمتع الأمير بهامش حريّة في اتخاذ القرارات بما يلائم تطورات الميدان، باستثناء العمليات الكبرى التي تعود إلى أمراء الأقاليم[٣٦].

أمراء الأقاليم: بعضهم من العرب، وهم مسؤولون عن العمل العسكري والإغاثي والدعوي على مستوى المحافظات. يتمتع أمراء الأقاليم بصلاحيات عسكريّة واسعة، باستثناء القرارات الجوهريّة والمهمة؛ فهم بحاجة للرجوع إلى مجلس شورى المجاهدين بشأنها.

مجلس شورى المجاهدين: يتألف من ١٢ عضوًا من أبرزهم الجولاني والظواهري (عضو مراقب) والبغدادي، و"أبو علي العراقي" و"أبو محمد العدناني" و"أبو مارية العراقي"، وغيرهم[٣٧].

---

٣١ "الظواهري يلغي دمج "جهاديي" سوريا والعراق"، **الجزيرة نت**، ٢٠١٣/٦/٩، انظر:
http://www.aljazeera.net/news/pages/a5a7d33e-3c9f-4706-b070-e358b5e67236

٣٢ هو شيخ سوريّ من مدينة حلب، مؤسس تجمع شباب وعلماء النهضة الذي ينشط في عموم سوريّة، وهو مقرب من الهيئة الشرعية في حلب.

٣٣ مقابلة أجراها الباحث مع الشيخ محمد عبد الله نجيب سرور عبر السكايب.

٣٤ مقابلة أجراها الباحث مع هاني أحمد، العضو في لواء الإسلام في منطقة الباب في حلب.

٣٥ شهادات ومعلومات جمعها الباحث من عدد من المقاتلين الذي اشتركوا في معارك مع جبهة النصرة منهم عبد الرحمن المصطفى في الغوطة الشرقية، وسامر أحمد في مخيم اليرموك، وعبد الرحمن البكار في حلب، والحاج بكري في ريف حماة، و"أبو البراء" في معرة النعمان.

٣٦ شهادات ومعلومات جمعها الباحث من الشيخ عبد الله نجيب سرور.

٣٧ معلومات جمعها الباحث من مقابلات أجراها عبر وسيط (نتحفظ عن ذكر اسمه) في حلب.

٣. الانتساب للنصرة

إنّ باب الانتساب إلى جبهة النصرة ليس مفتوحًا للجميع؛ إذ إنّ الجبهة تتبع إحدى طريقتين في تنسيب الأعضاء الجدد (الأنصار) إليها:

الأولى: الترشيح والتزكية: ويشترط في المرشح أن يلتزم بدروس الإعداد الديني والتوجيه الجهادي لفترة لا تقل عن شهرين، وأن يحظى بموافقة الدعاة في منطقته. بعدها، يجب أن يحصل على تزكية من عضوين في الجبهة يشهدان بالتزامه وانضباطه. ثمّ تجرى له اختبارات قتاليّة لإرساله إلى الجبهات أو إخضاعه للتدريب مؤقتًا.

الثانية: الاختيار: نتيجة لسمعتها القتالية وحضورها الواسع، كان الانضمام لجبهة النصرة يعتبر هدفًا وغاية بالنسبة إلى كثير من المقاتلين؛ فعلى سبيل المثال كان يوجد بالقرب من دارة عزة في حلب معسكر يسمى حاليًا معسكر الشيخ سليمان، وكان مخصصًا للبحوث العسكرية سابقًا، وتجرى فيه دورات عقائدية وعسكرية، ويخرِّج أسبوعيًا عشرات المقاتلين. وعند التخرّج كانت النصرة تنتقي نخبة المقاتلين وتختارهم للانضمام إليها[٣٨].

وهناك منتسبون آخرون للنصرة من "المهاجرين" العرب والأجانب الذين يؤمنون بالفكر الجهادي، والذين خبروا القتال في ساحات "جهادية" أخرى.

٤. مصار التمويل

على الرغم من وجود مصادر تمويل شبه دائمة للجبهة تأتي من التبرعات أو من التنظيمات الجهادية، فإنّ هذه المصادر بحكم وظائف الجبهة العسكريّة والإغاثية والخدمية تشكل جزءًا بسيطًا من تمويلها فحسب[٣٩]. فالجبهة تعتمد بشكل رئيس في التمويل على الغنائم؛ فقد تشترط قبل المشاركة مع فصائل المعارضة الأخرى في أي معركة "حصة الأسد" من الغنائم. لقد حصل ذلك أثناء مهاجمة الثكنات العسكريّة كافة في الشمال السوريّ، مثل قاعدة الشيخ سليمان والفوج ٤٦ وخان طومان وغيرها، ما جعلها الفصيل العسكري الوحيد في سورية الذي لا يشكو شحَّ الذخيرة[٤٠]. إضافة إلى ذلك، وضعت الجبهة يدها على صوامع الحبوب في حلب، وتولت حماية المصانع فيها، فحصلت من التجار الخائفين على مصانعهم من السرقة والنهب على مقابل مادي، كما سيطرت على عدة آبار للنفط في المنطقة الشرقية واستخدمتها في تمويل نشاطاتها. وأقامت مشاريع خدمية مثل مشروع "باصات النقل العام" في حلب وريفها والتي عادت على الجبهة بمردود مالي كبير.

ثالثًا: جبهة النصرة: التغلغل والانتشار

يعبِّر التغلغل السريع والانتشار الواسع لجبهة النصرة في سوريّة، وبخاصة في المنطقة الشمالية، عن تخطيط مدروس من قبل الجبهة نجحت في تطبيقه بذكاء مستغلة ظروف الثورة ومسارها.

بعد مرحلة التأسيس وإنشاء قواعد الارتكاز التي أوضحناها سابقًا، بدأت مجموعات من النصرة أواخر عام ٢٠١١ بمشاركة الجيش السوري الحر في المواجهات[٤١]. نشرت الجبهة مقاتليها على جميع الجبهات الساخنة في ريف حلب وإدلب، وقد استطاع هؤلاء اكتساب احترام مقاتلي الجيش الحر الذين رحبوا بتولي هؤلاء الجهاديين خط الاشتباك الأول مع النظام، نظرًا لقدرتهم على الثبات والصمود وإلحاق خسائر كبيرة بقوات النظام[٤٢].

ومع تدفق المقاتلين العرب والأجانب، وزيادة انتساب السوريين، انتقلت الجبهة إلى توسيع نشاطها القتالي وتفعيله في عموم ريف حلب، واختارت بعناية مواقع تمركزها بالاستناد إلى نقطتين: أولاهما، الثكنات العسكرية الكبيرة، والقواعد العسكرية الحصينة في ريف حلب الغربي مثل الفوج ٤٦ في منطقة الأتارب؛ إذ استطاعت الجبهة مع كتائب أخرى السيطرة عليه في ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ وغنمت كميات كبيرة جدًا من الأسلحة والذخيرة[٤٣]، وقاعدة الشيخ سليمان التي سيطرت عليها كتيبة المهاجرين التابعة لجبهة النصرة، واستولت على آليات عسكرية ودبابات وكميات كبيرة من الذخيرة[٤٤].

---

٣٨ معلومات متطابقة حصل عليها الباحث من شهادات مختلفة جمعها من علاء القاضي، وهاني أحمد، والشيخ عبد الله نجيب، ومن مقاتلين سوريين في الجبهة الإسلامية السورية (لواء مجاهدي الشام)، وأبو البراء الحموي، وأبو يزن الحموي (استشهد ٢٠١٣/١٠/٢).

٣٩ معلومات جمعها الباحث من الشيخ أبو عبد الله الشرعي، وهو قيادي قريب من الهيئة الشرعية في حلب.

٤٠ حسين جمو، "جبهة النصرة: إستراتيجية خشنة للاستيلاء الناعم على الثورة عبر ٣ مداخل"، جريدة **الحياة**، ٢٠١٣/١/٨، انظر:
http://alhayat.com/Details/470180

٤١ بشارة، ص ٣٥٧.

٤٢ جمو.

٤٣ لمشاهدة الغنائم التي حصلت عليها جبهة النصرة من الفوج ٤٦ في الأتارب، انظر:
http://www.youtube.com/watch?feature=player_embedded&v=W0iu6iwjUbc#!

٤٤ "أوزبكي قاد الهجوم للاستيلاء على قاعدة الشيخ سليمان ... في حلب"، جريدة **الرياض**، ٢٠١٢/١٢/١١، انظر:
http://www.alriyadh.com/2012/12/11/article791701.html

وبسيطرتها على هذه الكتيبة - التي تحولت كما أشرنا إلى معسكر تدريب للمقاتلين - فرضت النصرة وجودها في منطقة مهمة جغرافيًا وتعتبر نقطة التقاء بين محافظتي حلب وإدلب. والنقطة الثانية، اختيار مناطق في الريف الشرقي من أجل التغلغل فيها، وكسب رضا الأهالي عبر المساعدات والإعانات، والمساعدة في "تحريرها" من قوات النظام. وتعتبر منطقة الباب أهم مناطق وجود النصرة في الريف الشرقي، فقد استطاعت نتيجة انتشارها في هذا الريف السيطرة على ثكنات عسكرية مهمة مثل كتيبة الصواريخ والرادار في قرية الطعانة، وكتيبة الصواريخ في تل حاصل بالقرب من السفيرة، وحصار معامل الدفاع في السفيرة بريف حلب الشرقي.

منح انتشار جبهة النصرة في ريفي حلب الغربي والشرقي القدرة على التحكم بخطوط الإمداد والتموين بين تركيا وحلب، ما جعل التعاون والتنسيق معها غاية كل الكتائب العاملة في حلب وريفها في ظل الحاجة إلى التسليح والتمويل.

كما ساعد الانتشار والتغلغل في ريف حلب الشرقي مقاتلي الجبهة على التمدد شرقًا باتجاه مدينة الرقة، والقيام منذ شباط/ فبراير ٢٠١٣ بسلسلة عمليات عسكريّة بالاشتراك مع الجبهة الإسلامية السورية، وبخاصة حركة أحرار الشام، ونجحت خلالها بالسيطرة على مناطق إستراتيجية مثل سد تشرين وسد الفرات في مدينة الطبقة، وانتهت بالسيطرة على مركز مدينة الرقة. وبذلك تمكنت الجبهة من وضع يدها على أهم المرافق الإستراتيجية في سورية في المنطقتين الشمالية والشمالية الشرقية.

أما في دير الزور فقد دخلت النصرة إلى المدينة بعد عام من اندلاع الثورة. يقول عضو مجلس ثوار دير الزور فيصل أبو سعود "دخلت النصرة إلى المدينة عندما هُيّئت لها الأجواء باشتداد الصراع المسلح وقلة الدعم الذي يحصل عليه الثوار، فكان ثوار المدينة كالغريق الذي يتعلق بقشة بعد أن تخلى الغرب والعرب عنهم. لقد أحدث دخول جبهة النصرة على خط القتال فارقًا نوعيًا في قتال قوات النظام. بعد ذلك أصبحت عنوانًا لكثير من المقاتلين في المدينة الذين انضموا إليها، فأصبحوا يشكلون ٨٠٪ من أعضاء جبهة النصرة في المدينة"[٤٥].

على عكس الانتشار السابق الذي فرضه مسار الأحداث على الأرض، جاء الانتشار في جبال اللاذقية وفي ريف حماه الغربيّ وقرى إدلب القريبة من الساحل مدروسًا لغايات تعتبرها الجبهة إستراتيجية على المدى البعيد أكثر مما هي راهنة. لقد بدأ انتشار الجبهة في منطقة جبل الأكراد في اللاذقية منذ آذار/ مارس ٢٠١٢، على يد أعضاء في الجبهة ينتمون إلى محافظة اللاذقية (أنصار)، ورافقهم عدد من المقاتلين العرب والأجانب (مهاجرون). يذكر أبو سليمان السوري أحد جنود جبهة النصرة في محافظة اللاذقية ما يلي "بعد أن توطنت في جبل الأكراد، انتقل الجزء الأكبر من مقاتلي الجبهة إلى جبل التركمان، وقد كان هذا الانتقال ضروريًا لقناعة الجبهة أنّ النظام قد يضطر إلى إقامة دولة علوية في الساحل، وبالتالي لا بد من تطويق جبال "العلويين" لإحباط قيام هذه الدويلة، ويتحقق للجبهة هدف مرحلي يتمثل بقصف القرى العلويّة، والرد على "اعتداءاتهم" على أهل السنة في اللاذقية وفي عموم سورية"[٤٦].

ساهم عامل آخر في تغلغل جبهة النصرة وتعاظم نفوذها، ويتمثل بعلاقاتها مع المجتمعات المحلية التي تنتشر فيها. لقد حرصت النصرة بداية تشكلها على عدم الاختلاط بالمدنيين ما أمكن، خشية حصول احتكاكات ومواجهات بين المدنيين وعناصرها، وخشية اختراق مجتمع المدينة لمقاتليها في سلوكياتهم وطباعهم. لكن بعد دخولها إلى حلب وانتشارها في مدن الريف وقراه اضطرت للاختلاط بالمدنيين والاحتكاك بهم. ولتجنّب تجربة العراق، حرص مقاتلو النصرة على عدم استفزاز المدنيين، والعمل على استرضائهم، وتأمين حاجاتهم، ما اضطر الجبهة إلى القيام بدور خدمي في المناطق التي خرجت عن سلطة الدولة، مثل توزيع عبوات الغاز، والمحروقات، وتأمين الطحين اللازم للمخابز، وتنظيم السير وغيرها.

استطاعت الجبهة التمايز عن باقي ألوية المعارضة وكتائبها في ما يتعلق بالعلاقة مع المجتمعات المحلية التي تنتشر فيها من أجل تأمين "الاستقرار الأمني" وحاجات الناس. وابتعدت عن سلوكيات الحركات الجهادية التقليدية مثل تطبيق الحدود الإسلاميّة، انطلاقًا من اجتهاد فقهي ينص على أنه "في الحروب لا تطبق الحدود"[٤٧]. وبناء عليه، فإنّ النصرة لم تظهر تجاهلًا متعمدًا للحياة البشرية، فهي لم تنشر

٤٥ مقابلة أجراها الباحث عبر السكايب مع "فيصل أبو سعود"، عضو مجلس ثوار دير الزور في ٢٠١٣/٥/٣٠.

٤٦ مقابلة أجراها الباحث مع "أبو سليمان السوري" عبر السكايب بتاريخ ٢٠١٣/٥/١٤.

٤٧ للتوسع في هذا الموضوع انظر على سبيل المثال: عبد المنعم مصطفى حليمة (أبو بصير الطرطوسي)، **الجهاد والسياسة الشرعية: مناصحة ومكاشفة للجماعات الجهادية المعاصرة** (د.م.: د.ن.، ٢٠٠٧)، انظر:

http://www.altartosi.com/book/book27/

وانظر أيضًا: "اتحاف البررة في مسألة تطبيق الحدود في المناطق المحررة"، **ملتقى الحوار الشرعي والمذهبي**، ٢٠١٣/٦/١٣:

http://t3beer.ahlamontada.com/t1020-topic

مقاطع توضح تطبيق الحدود أو قطع الرؤوس والأيادي والإعدامات بحق المدنيين[٤٨].

رابعًا: العلاقة مع الكتائب

عند الإعلان عن إنشاء جبهة النصرة بداية عام ٢٠١٢، لم تكن التشكيلات المقاتلة قد تبلورت بوصفها بنية تنظيمية ذات هيكلية واضحة كما هو الحال الآن، وكان العمل المسلح بأغلبيته يعتمد على كتائب أهليّة في القرى والمناطق تعمل تحت يافطة الجيش الحر. منعت النصرة - عند تأسيسها - مقاتليها من الاختلاط والتواصل والتنسيق مع كتائب الجيش الحر لأسباب عدة تتعلق بضبابية خارطة العمل المسلح وتشرذمه، ونظرتها السلبية تجاه مقاتلي الجيش الحر فهؤلاء بحسب الجبهة فيهم "مروق"، وليس لهم ضوابط دينيّة وأخلاقية (كونهم يدخنون، ويشتمون، ويقولون الألفاظ البذيئة، ولا يلتزمون بالصلاة، وغير ذلك)، ويفتقرون إلى أدبيات التربية والتنشئة الجهاديّة[٤٩].

تغيّر الواقع السابق مع اتساع المواجهة واشتدادها بين قوات النظام وكتائب الثوار؛ إذ استطاعت الأخيرة بحكم معرفتها بجغرافية المناطق التي توجد فيها وطرق الإمداد وطريقة قتال الجيش النظامي، تحقيق انتصارات مهمة على الأرض، فرضت على الجبهة تغيير طريقتها، والانتقال إلى التنسيق مع هذه الكتائب.

أحدث التعاون بين الجبهة والجيش الحر فارقًا نوعيًا في عمليات كتائب الثوار وانتصاراتهم؛ فالثوار كانوا يطلبون قبل كل عملية مشاركة جبهة النصرة، والتي ترسل لهم بدورها "انتحاريًا" أو سيارة مفخخة تنفجر في النقطة المستهدفة ومقاتلين يتصدرون الصفوف الأمامية للمواجهة، ويُقتل الكثير منهم، فيما يكون دور كتائب الثوار مساندًا ومكملًا لما بدأته النصرة[٥٠]. لقد تصرفت كتائب الثوار بانتهازية مع الجبهة في بداية الأمر من أجل تحقيق انتصارات سريعة تحقق لهم غنائم تفيدهم في الحصول على السلاح والذخيرة من دون تضحيات أو مجهود حقيقي، الأمر الذي ساهم في "أسطرة" جبهة النصرة، وربط الانتصار بمشاركتها، حتى إنّ معارك ألغيت أو أوقفت لأنّ الجبهة رفضت المشاركة فيها أو الالتحاق بها[٥١]. ونتيجة لذلك، أصبح التقرب من جبهة النصرة والعمل معها كما ذكر قائد حركة أحرار الشام حسان عبود "خيارًا إستراتيجيًا لكل فصيل على الأرض لأنهم أشداء وعندهم بسالة وعندهم ثبات في المعارك"[٥٢]. وقد استغلت النصرة هذه "الأسطرة"، وبدأت في أواخر عام ٢٠١٢ تفرض شروطها على الكتائب قبل المشاركة في العمليات كحصولها على النسبة الكبرى من الغنائم العسكريّة[٥٣].

توصّف أغلبية الكتائب (لواء التوحيد، وألوية صقور الشام، والجبهة الإسلامية السوريّة) علاقتها بجبهة النصرة بأنها "جيدة"، على الرغم من الاختلاف في المشروع السياسيّ، ونادرًا ما حصل خلاف أو صدام عسكري بين النصرة وأحد التشكيلات الرئيسة ما عدا كتائب الفاروق، وبعض العشائر في منطقة دير الزور.

وعلى الرغم من انفتاح النصرة على أغلبية الكتائب، فإنها تجد نفسها أقرب للتعاون والتنسيق مع حركة أحرار الشام، وباقي فصائل الجبهة الإسلامية السوريّة[٥٤] لأسباب عدة منها:

التقارب الفكري والمشروع السياسي؛ إذ تتطابق أفكار الجبهة ومشروعها السياسي مع حركة أحرار الشام في ما يتعلق بإقامة الدولة الإسلامية، وتختلفان حول التوجه "الأممي" للجبهة[٥٥].

الانضباط التنظيمي: تعتبر حركة أحرار الشام من أكثر التشكيلات المسلحة في سورية تنظيمًا وانضباطًا، وتتشابه هيكليتها التنظيمية إلى حد كبير مع جبهة النصرة. ومنح هذا التنظيم الحركة فاعليّة كبيرة في المواجهات مع النظام، لذلك تميل النصرة إلى التنسيق معها في أغلبية المعارك[٥٦].

---

48 Aaron Y. Zelin, "The Rise of Al Qaeda in Syria," *Foreign Policy*, 6/12/2012: http://www.foreignpolicy.com/articles/2012/12/06/the_rise_of_al_qaeda_in_syria

٤٩ مقابلة أجراها الباحث في الدوحة مع الحاج بكري أحد قادة الجيش الحر في حماة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢. وقد نقل الحاج بكري هذه الكلمات حرفيًا عن أمير جبهة النصرة في مدينة حلفايا في محافظة حماة.

٥٠ المرجع نفسه.

٥١ ولعل معركة الجسد الواحد في ريف حماة الشرقي أكبر مثال على ذلك؛ إذ أوقفت هذه المعركة بسبب عدم مشاركة جبهة النصرة فيها. شهادة جمعها الباحث من مصلح الثلجي أحد المقاتلين المشاركين في المعركة.

٥٢ "حسان عبود .. سلسلة رموز المعارضة المسلحة"، ج ١، **الجزيرة نت**، ٢٠١٣/٦/١١، انظر: http://www.aljazeera.net/programs/pages/28fb39ff-06ea-47c9-a1ae-ec7dc64fd624

٥٣ مقابلة مع علاء القاضي.

٥٤ يرأس الجبهة حسان عبود "أبو عبد الله الحموي"، وهو قائد أحرار الشام. لمشاهدة البيان التأسيسي للجبهة الإسلامية السورية ٢٠١٢/١٢/٢٢، والكتائب المنضوية فيها، انظر: http://www.youtube.com/watch?v=YySOTYEwKLw

٥٥ "حسان عبود .. سلسلة رموز المعارضة المسلحة".

٥٦ شهادة جمعها الباحث من محمد الأمين، وهو قيادي قريب من الهيئة الشرعية في حلب، ومن حركة أحرار الشام.

أما علاقة النصرة مع جبهة تحرير سوريّة الإسلاميّة التي أعلن عن تشكيلها في ١٢ أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢، فتختلف بحسب كل فصيل من مكونات هذه الجبهة؛ فعلى سبيل المثال، قامت النصرة بالتعاون مع حركة أحرار الشام بتشكيل غرفة عمليات مشتركة ومع ألوية صقور الشام لتحرير مطار تفتناز بداية عام ٢٠١٣، كما شاركت النصرة مع كتائب أخرى مثل حركة أحرار الشام ولواء التوحيد في معركة فك الأسرى لاقتحام سجن حلب المركزي، ونفذت سلسلة عمليات "انتحاريّة" في محيطه[٥٧]. وفي دمشق وريفها، حصل تنسيق على مستوى عال بين جبهة النصرة ولواء الإسلام لصد هجوم النظام على جبهتي جوبر القريبة من العاصمة، والعتيبة والعبادة والقاسمية[٥٨]. أما العلاقة مع كتائب الفاروق فقد كانت متوترة جدًا ووصلت في مرات عديدة إلى مرحلة الصدام المسلح والتصفية المتبادلة[٥٩].

خامسًا: انقسامات النصرة وظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام

ظهرت تباينات جبهة النصرة إلى العلن في ٩ نيسان/ أبريل ٢٠١٣ عندما ظهر شريط مسجل لـ "أبو بكر البغدادي" أمير ما يسمى بـ "دولة العراق الإسلامية"، أعلن فيه اندماج "جبهة النصرة لأهل الشام" و"دولة العراق الإسلامية"، وتأسيس ما سماه "الدولة الإسلامية في العراق والشام". ودعا البغدادي "المجاميع الجهادية" في العراق والشام، إلى التخلي عن أسمائها والانصهار في الدولة الإسلامية في العراق والشام[٦٠].

في اليوم التالي (١٠ نيسان/ أبريل)، أعلنت مؤسسة المنارة البيضاء عن كلمة لـ "أبو محمد الجولاني" تضمنت ما يلي[٦١]:

- نفى الجولاني علمه بقرار البغدادي في ما يتعلق بإعلان الدولة.
- ذَكّرَ الجولاني البغدادي، بأنه أعلن منذ تأسيس جبهة النصرة أن هدفها يتمثل "إعادة سلطان الله إلى أرضه، ثم النهوض بالأمة لتحكيم شرعه ونشر نهجه".
- نوّه الجولاني إلى أنّ إعلان "دولة الإسلام" يجب أن يشترك فيه جميع من شارك في الجهاد (من فصائل، وشيوخ معتبرين، ومهاجرين)، ومن دون إقصاء أي طرف.
- استخدم الجولاني لغة غير صداميّة لرفض دعوة البغدادي، وقال إنه يستجيب لدعوته "بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى"، بتجديد البيعة لزعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري[٦٢]، وطلب منه التحكيم في المسألة.

برز هذا الخلاف إعلاميًا كحدث طارئ ومفاجئ؛ أي من دون أيّ مقدمات أو مؤشرات تمهد له، ما جعل الاهتمام الإعلامي والسياسيّ ينصب عليه بوصفه حدثًا وعلى تداعياته المحتملة. ولم يقدِّم أحد - في المنتديات الجهاديّة أو في وسائل الإعلام الأخرى - تفسيرًا يوضح أسباب الخلاف. وحاولنا استقصاء أسباب الخلاف ومعرفته من خلال شهادات ومقابلات عدة أجريناها مع أعضاء في جبهة النصرة، ومع شخصيات مقربة منها أو على دراية ومعرفة ميدانية وسياسية بالجبهة. يشرح أبو عبيدة المصري قائد جيش محمد في مدينة إعزاز أسباب الخلاف بين الجولاني والبغدادي[٦٣]، بالقول: "بدأت الخلافات تدب بين الجولاني والبغدادي عن طريق أتباع البغدادي الذين سلطهم لمراقبة الجولاني وتصرفاته وجعلهم وصاة عليه وبخاصة المدعو "أبو علي العراقي"، الذي كُلِّف بمراقبة الجولاني وإيصال رسائله للشيخ أيمن الظواهري. بدأ العراقي فرض آرائه على الجولاني وأحدها - على سبيل المثال - عرض تفجير مقر الائتلاف الوطني في تركيا، وهو ما رفضه الجولاني. ومن هنا بدأ يشعر أتباع البغدادي أنّ الأمر يخرج من أيديهم وأنّ الجولاني سيخلعهم بمرور الوقت. بعث اثنان من المقربين

---

٥٧ "الانغماسيون يحاصرون جنود الأسد في أبنية سجن حلب المركزي"، أورينت نيوز، تلفزيون **المشرق**، ٢٠١٣/١٠/١٧، انظر:
http://orient-news.net/index.php?page=news_show&id=5777

٥٨ شهادة جمعها الباحث من "مهند أبو حافظ" أحد عناصر لواء الإسلام في جوبر بتاريخ ٢٠١٣/٦/١٥.

٥٩ "تصفية قيادات بين النصرة وكتائب الفاروق تثير مخاوف من تناحر داخل المعارضة السورية"، جريدة **الحياة**، ٢٠١٣/١/١٣، انظر:
http://alhayat.com/Details/471614

٦٠ "إعلان الدولة الإسلامية في بلاد الشام والعراق"، جريدة **الشرق الأوسط**، ٢٠١٢/٤/٩، انظر:
http://aawsat.com/details.asp?section=4&article=724119&issueno=12552#.UlUXj2zJS74

٦١ لمشاهدة كلمة الجولاني، انظر موقع يوتيوب، ٢٠١٣/٤/١٠:
http://www.youtube.com/watch?v=QXZ3YpzF4Mw

٦٢ المرجع نفسه.

٦٣ في ٢٠ أيار/ مايو ٢٠١٣ حصل الباحث على رسالة كتبها أبو عبيدة المصريّ، القيادي في جبهة النصرة وقائد جيش محمد في مدينة إعزاز، تشرح أسباب الخلاف بين البغدادي والجولاني، والتي أفضت إلى إعلان الدولة. لم يكن لهذه الرسالة أي قيمة يعتد بها لولا إجماع أغلبية الشهادات التي جمعها المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات على صحتها وقربها من الواقع. ومن أبرز هذه الشهادات: الشيخ "أبو عبد الله الشرعي" القيادي في جبهة علماء حلب، ومحمد الأمين القريب من الهيئة الشرعية في حلب، وأبو سليمان السوريّ، وعلاء القاضي، وغيرهم. كما أنّ الرسالة ذكرت مجموعة من الوقائع التي حصلت في بيان أيمن الظواهري حول الخلاف بين البغدادي والجولاني، والذي نشر في المنتديات الجهادية في ٢٠١٣/٦/٩. تجدر الإشارة إلى أن أبو عبيدة المصري نشر هذه الرسالة في بداية تشرين الثاني/ أكتوبر ٢٠١٣ على حسابه في موقع تويتر.

للبغدادي رسالة قالوا فيها (سيفعل الجولاني معك كما فعل بيبرس بقطز)، فجنّ جنون البغدادي وقرر جمع مجلس الشورى باستثناء خمسة أعضاء من أرض الشام، منهم الجولاني، وناقشهم في كيفية التصرف مع الجولاني وطُرحت مسألة إعلان الدولة".

يضيف محمد الأمين[٦٤] أسبابًا للخلاف بين الجولاني والبغدادي تتمحور حول رفض الجولاني تكرار أخطاء تجربة العراق، والتي يراها البغدادي ضرورية لفرض سلطان الله وتحكيم الشريعة. ومن هذه الأسباب:

- التوسع في التكفير واستباحة دماء من خالفهم.
- الاستهتار بحياة المدنيين أثناء العمليات؛ إذ إن أغلب المهاجرين كانوا يفضلون العمليات الانتحارية كأسلوب للقتال، وهو ما قيّده الجولاني.
- الاستكبار على الآخرين وإلزامهم بيعة أمير مجهول، واعتبار أنّ من لا يبايع الجبهة يعد خارجًا عن سلطان الله، وهو اتجاه كان يدفع به البغدادي.
- التعاون مع الآخرين: كان البغدادي يتحفظ من طريقة عمل الجبهة عندما كانت تخوض معاركها بالاشتراك مع فصائل أخرى إسلامية أو من الجيش الحر، ويعتبر البغدادي أنّ هذا الأسلوب سيقوّي هذه الفصائل التي قد تحارب الجبهة في المستقبل.
- الإشراف على المناطق المحررة: كان البغدادي يطالب ببسط سلطة الجبهة على المناطق المحررة كافة وتسخير مواردها والضرائب المفروضة عليها والغنائم لخدمة المشروع الجهادي.

بعد إعلان البغدادي عن الدولة الإسلامية في العراق والشام وعن دمج التنظيمين، ومن ثم رفض الجولاني للدمج، حصلت انقسامات داخل جبهة النصرة؛ إذ إنّ أغلبية المقاتلين الأجانب (المهاجرون) رحبوا بإعلان الدولة وبايعوا البغدادي أميرًا، فيما قرر قسم من السوريين (الأنصار) عدم الانضمام للتنظيم الجديد، فمنهم من بقي مبايعًا للجولاني، ومنهم من تخوف من البيعة للظواهري، فانسحب وانضم إلى فصائل إسلامية سورية مثل أحرار الشام التي استقبلت كثيرًا منهم[٦٥].

حاولت قيادات النصرة تجنب الوقوع في مصادمة مسلحة مع أنصار البغدادي، وفضلت انتظار تحكيم الظواهري لأنها كانت مقتنعة أنه سيأتي لمصلحتها، وهو ما حصل بالفعل؛ إذ أصدر الظواهري بيانًا ألغى فيه الدمج، وأبقى الجولاني في منصبه "مسؤولًا عامًا" لجبهة النصرة في الشام[٦٦]. لم يقلص بيان الظواهري الخلافات والصدامات، فأتباع البغدادي شككوا في بيانه عند إعلانه واتهموا النصرة بتزويره، وقد وصف هؤلاء الجولاني وأنصاره بأنهم "ليسوا موطن ثقة". وحتى بعد نشر المنتديات الجهادية بيان الظواهري وتأكيده، رفض البغدادي ما جاء في رسالة التحكيم؛ فقد بثت مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي كلمةً للبغدادي في ١٥ حزيران/ يونيو ٢٠١٣[٦٧]، تضمنت ما يلي:

- ردَّ البغدادي على النقاش في المنتديات الجهاديّة حول (المصالح والمفاسد) في خطوة إعلان الدولة، وبخاصة أنّ كثيرًا من المنظرين الجهاديين مثل أبو بصير الطرطوسي اعتبروا خطوة إعلان الدولة فيها من المفاسد ما يفوق المصالح، وهي الحجة ذاتها التي قدَّمها الجولاني عند رفضه لها[٦٨].
- في نبرةٍ من التحدي والإصرار، أعلن البغدادي عن بقاء الدولة الإسلامية في العراق والشام وبأنه لن يتنازل عنها[٦٩].
- رفض البغدادي رسالة الظواهري بفض الاندماج، واعتبر أنّ عليها مؤاخذات شرعية ومنهجية، وأنه اختار ما بين أمر الله والمخالف لأمر الله، فاختار الأول المخالف لرسالة التحكيم[٧٠].

وبهذا الإعلان توسع الشرخ بين الجبهة وتنظيم الدولة، وبدأ كلا الطرفين بالعمل على تعزيز مواقعهما ميدانيًا، ومحاولة جذب عناصر كل تنظيم إلى الآخر. ويمكن تلخيص تبعات الانقسام ميدانيًا بالآتي[٧١]:

- تراجع حضور جبهة النصرة في حلب المدينة باستثناء بعض المواقع في بستان القصر، ومحيط سجن حلب المركزي، ويكاد ينعدم

٦٤ شهادة حصل عليها الباحث من محمد الأمين.

٦٥ شهادات متطابقة جمعها الباحث من أبو سليمان السوري، وهاني أحمد، ومحمد الأمين.

٦٦ "الظواهري يلغي دمج "جهاديي" سوريا والعراق".

٦٧ لمشاهدة كلمة البغدادي بعنوان "باقية في العراق والشام"، انظر موقع يوتيوب، ٢٠١٣/٦/١٥:
http://www.youtube.com/watch?v=WFGsamaxoAk

٦٨ جاء في كلمة البغدادي: "اعتدنا أننا من سبقنا من مشايخنا على طريق، كان لهم القول الفصل في مدلهمات الأمور. تتراءى لهم المصالح في خضم ما يراه الآخرون مفاسد. فلا يلتفتون، وما ذلك إلا لخصوصية الهداية فيهم، ثم ما تلبث الأيام تنجلي عن بصر ثاقب في الرؤية على المدى البعيد، عجزت أبصار القاعدين وأصحاب الأهواء والمخذّلون عن إدراكها". المرجع نفسه.

٦٩ المرجع نفسه.

٧٠ المرجع نفسه.

٧١ تعتمد هذه الاستنتاجات على متابعات الباحث للوضع السوري وحضور الحركات الجهادية، إضافة إلى كثير من الشهادات والمقابلات التي جمعها؛ منها ما ذكر في البحث (محمد الأمين، هاني أحمد، علاء القاضي، أبو سليمان السوري..)، ومنها ما يتحفظ الباحث عنها لعدم رغبة أصحابها في الإعلان عن أسمائهم.

في الريف الحلبي بعد أن استولى أنصار البغداديّ على جميع مقرات الجبهة ومكاتبها، وطردوا من بقي تحت راية الجبهة. وعلى الفور، أعلن تنظيم الدولة عن إلحاق المناطق والمدن التي سيطر عليها بالإمارة الإسلاميّة، وأجبر الناس والكتائب على مبايعة البغداديّ أميرًا عليهم.

- ورث تنظيم الدولة جبهة النصرة بشكل كامل في مدينة الرقة، ولم يبق للنصرة أي وجود فيها، حتى إنّ مقاتليها الذي رفضوا مبايعة البغدادي انضموا إلى حركة أحرار الشام الموجودة هناك أو احتموا بها.
- استطاعت جبهة النصرة أن تحافظ على وجودها وحضورها في ريف إدلب بسبب الحمايّة التي وفرتها لها حركة أحرار الشام، والتي منعت أنصار البغدادي من تكرار ما حصل في حلب من اقتحام للمقرات والمعسكرات وإجبار منتسبي النصرة على الانضمام للتنظيم الجديد.
- انقسمت النصرة بحدة في دير الزور، وقد أدى وقوف المسؤول الشرعي للنصرة "أبو مارية العراقي" (الموجود في المدينة) مع الجولاني إلى منع تلاشي جبهة النصرة لصالح البغدادي. أما في الريف، وبخاصة في مدينتي الميادين والبوكمال القريبتين من العراق، فتنظيم الدولة هو الأكثر حضورًا في تلك المناطق.
- أنصار البغدادي في اللاذقية هم الأغلبية، وقد تراجع حضور جبهة النصرة هناك؛ إذ تفرّق مقاتلوها بين الكتائب.
- لا تزال النصرة موجودة في دمشق وريفها لأنّ أميرها "الشيخ أبو سمير" رجع عن بيعته للبغدادي، وبايع الجبهة من جديد.
- في حوران انضم قسم من أعضاء الجبهة إلى البغدادي، وانسحبوا من حوران إلى مناطق الشمال لدعم تنظيم الدولة. ولا تزال النصرة تحتفظ بتنظيم قوي هناك يقوده أبو أنس الحوراني.

الجهاديون مأزق الثورة

أقحمت الحركات الجهادية نفسها في مسار الثورة السوريّة، وأصبحت بحكم عوامل عدة أحد الفاعلين في المشهد السوريّ. وتعاملت القوى الثوريّة السياسية والمسلحة بقصر نظر مع هذه الحركات عندما غضت الطرف عن نشاطها وممارساتها، وفي بعض الأحيان عندما حاولت إدماجها في الثورة، أو التصدي لمنتقديها.

تعاملت بعض قوى الثورة بانتهازية وبراغماتية مع موضوع الحركات الجهاديّة، بمعنى "دورها" في قتال قوات النظام، ما أدى إلى تزايد تغلغل هذه الحركات ونفوذها ميدانيًا. وقد تحولت بعض هذه الحركات كتنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" في مراحل متقدمة عن قتال قوات النظام إلى قتال كتائب الثوار وطردهم من المناطق التي سيطروا عليها؛ إذ حصل ذلك في مدينة الرقة عندما قام تنظيم الدولة الإسلامية باستهداف مقرات لواء أحفاد الرسول التابع للجيش السوري الحر في مدينة الرقة منتصف آب/ أغسطس ٢٠١٣، وفي مدينة إعزاز عندما سيطر التنظيم على المدينة بعد مواجهات مع لواء عاصفة الشمال التابع للجيش للحر منتصف أيلول/ سبتمبر ٢٠١٣[٧٢]، وفي مناطق أخرى مثل قرية الدانا في ريف إدلب، والشدادي في ريف الحسكة.

فرض وجود الحركات الجهادية مخاوف لدى شرائح كبيرة من السوريين، وبخاصة أنّ تنامي وجودها ترافق مع معطيات تخرج عن أهداف الثورة ورموزها مثل انتشار الرايات الإسلامية السوداء التي تشير إلى علم القاعدة، وظهور المحاكم الدينيّة الشرعية وانتشارها، وتصنيف الشعب السوري إلى "مؤمنين" (المسلمون السنة)، وأهل ذمة (المسيحيون)، ومرتدين كفار (العلويون)، بما لا يتوافق مع الشعارات الجامعة التي بلورتها الثورة السورية. يضاف إلى ذلك نوعية العنف الذي تمارسه الحركات الجهادية، ولا سيما العمليات الانتحارية والسيارات المفخخة التي تعد من أساليبها القتالية، وتتجلّى نتائج هذا العنف المعنويّة الرمزيّة بالنسبة إلى منتسبي هذه التيّارات في القدرة على استهداف المقرّات الأمنيّة للنظام أو مرتكزات قوّته الرّئيسة، بيد أنّ نتائجه الماديّة كانت مقتل مئات المواطنين الأبرياء لأنّهم وُجدوا مصادفة في أماكن التّفجيرات[٧٣].

كما أدى الحضور الواسع لهذه الحركات في معادلة الثورة إلى تغيّر اتجاهات الرأي العام العالمي تجاه الثورة السوريّة من كونها قضية عادلة ضد الاستبداد إلى حرب أهلية يؤدي فيها الجهاديون دورًا مهمًا. وقد قدَّم هذا الحضور "أدلة وبراهين" كان النظام بحاجة إليها لإثبات مقولته التي أطلقها في بداية الثورة - عندما كانت الاحتجاجات سلمية - بأنّ المحتجين هم "مجموعات سلفية إرهابية".

---

٧٢ "زمان الوصل تكشف القصة الكاملة لمعركة إعزاز بين داعش والعاصفة"، موقع زمان الوصل، ٢٠١٣/٩/١٨، انظر:
http://www.zamanalwsl.net/readNews.php?id=41207

٧٣ بشارة، ص ٣٥١.